غِذاء الرُّوح

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة ٢٠٠٠ م ١٤٢٠ هـ

الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القـــاهـــرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندريـــة : ٧ شـــارع نوبـــار المنشيـــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابـــــع : طريق مصر اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٧٤ / ٤٤٤١٠٧٠

عبد الحميد كشك

غذاء الروح

المكتب المصري الحديث

مقدمـــــة

الحمـــد لله رب العـــالمين وأشـــهد ألا إلـــه إلا الله ولـــــى الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنـــــا محمـــداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين صلى اللهم وسلم على هـــذا النبي الأمين، وعلى آله وصحابته الغر الميامين وارحم اللـــــهم مشايخنا . ووالدينا. وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين .

أما بعد :

فهذا كتاب يجمع بين صفحاته موضوعات تســمو بـــالروح إلى أعلاها حيث معدنها الشفاف المضيء المشرق ، فإذا كـــان للمادة غذاؤها وللجسم ما يقوم به من طعـــام وشـــراب ، فـــإن الروح بلطافتها وشفافيتها تحتاج أيضاً إلى غذاء، وغذاؤهـــا أن تسبح في أنهار صافية من الـــروحانيات العالية .

فكتاب الله بما فيه من نور ، وسنة رسول الله بما فيها مـــن معنويات، وذكر الله بما فيه من هدى . كل هذا روضات فينانـــة تنساب فيها الروح أرق من النسيم، وأنضـــر مـــن صفحـــة الروض الوسيم ، وترتفع بهذا الغذاء إلى كتاب فـــي عليـــن . وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم . يشهده المقربون

فهيا بنا نسبح في العالم العلوى،والملأ الملائكى فـــي ريـــاض الجنة، في مهابط السكينة ومواطن الرحمة .

لله قوم أخلصوا في حبه فاختارهم خداماً.

قوم إذا جن الظلام عليهم قاموا هنالك سجداً وقياماً يتلذذون بحبه فى ليلهم ونهارهم لا يبرحون صياماً، ((**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ عَانَآءَ اللَّيلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحذَرُ الآخِرَةَ وَيَرجُو رَحمَةَ رَبِّهِ قُل هَل يَستَوِى الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبَابِ**)) (الآية ٩ سورة الزمر).

تعال بنا يا أخا الإسلام نمتع الأسماع ونغذى الأرواح بتلك المقالات الإسلامية الطيبة ...

إلى رحاب الحق

روى ابن مسعود رضى الله عنه ... أن النبى ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه. سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل ؟

فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يا نبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى، والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا، فقال يا نبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى قال ففيم نكفنك؟ فقال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر، فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى،ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجو عنى ساعة فإن أول من يصلى علىَّ الله عز وجل-هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى الصلاة علىَّ فأول من يدخل علىَّ من خلق الله ويصلى علىَّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا علىَّ أفواجاً فصلوا علىَّ أفواجاً زمرة زمرة، وسلموا تسليماً ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة، وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى. ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان . قال فمن يدخلك

القبر ؟ قال زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى.

فى هذه الساعات العصيبة يسأل رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة: كم بقى عندى من المال فتقول له:سبعة دنانير يا رسول الله. فيقول لها: تصدقى بهن يا عائشة. ثم يتابع الأمر بسؤال آخر هل تصدقت بالدنانير يا عائشة ؟ فتقول له يا رسول الله شغلى بمرضك أنسانى أن أتصدق بهن فيحزن الرسول ويغضب على غضبة بريئة من كل غرض ويعلن هذه الكلمة التى تنفطر لها الأفئدة وتنخلع من هولها القلوب ويقول: يا عائشة كيف يلقى محمد ربه وفى بيته سبعة دنانير ؟

أرأيت إلى نزاهته أسمعت إلى زهده بل إلى طهارته ونظافته إنه محمد الذى ما من يوم ينشق فجره إلا وتردد إسمه ملايين المرات على ملايين الشفاه.

قال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ مروا أبا بكر يصلى بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر، فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها،يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء

فقال إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بى والله لولا أنى طفنت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت فيقول عبد الله أنى لم أر أحد أولى بذلك منك قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبى بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضاً ألا يكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى ﷺ وهو حى أبداً إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذا الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين، وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله ﷺ: ((أخرجن عنى، هذا الملك يستأذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم إنه دعانى فعاد ورأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن ثم قال

يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن.

سكرات الموت

بينما رسول الله ﷺ يعالج سكرات الموت كان يمسح وجهه بماء بارد ويقول سبحان الله إن للموت لسكرات اللهم هون على سكرات الموت ودخلت فاطمة فقالت واكرباه على كربك يا أبتاه فقال لها بلسان الأبوة الحانية يا فاطمة لا كرب على أبيك بعد اليوم .

وهنا تسأل قبل أن يلحق الرسول بالرفيق الأعلى: كم صلاة صلاها أبو بكر بالمسلمين إماما والرسول صلى الله عليه وسلم على فراش الموت والتى بناء عليها قرر المسلمون قاعدة تقول فى اختيار أبى بكر خليفة لقد رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟

لقد صلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة وهذه الأيام التى تخلف فيها النبى ﷺ عن أن يؤم المسلمين كانت من أشد الأيام ثقلا عليه وصح عنه أنه قال : أنى أوعك كما يوعك الرجلان منكم.

ومع فيح الحمى وحدة مسها لبدنه فقد ظل يقظ الذهن مهموماً بتعاليم الرسالة حريصاً على تذكير الناس بها . وكان ﷺ يخشى أن تغلب شهوات الغى والكبر على أمته فإن الذين

يتبعون شهوات الغى ينسون الصلاة والذين يتبعون شهوات الكبر يطغون على ما تحت أيديهم من خدم ومرءوسين ورقيق.

والأمة التى تستبد بها هذه الشهوات لا تصلح للحياة ولا تصلح بها حياة ومن اليسير أن يتركها الله تلقى جزاء ما تصنع، وهو خزى الدنيا وعذاب الآخرة . هذه الخشية حملت النبى ﷺ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على أن ينبه المسلمين إلى معاقد الخير ليتمسكوا بها.

الصلاة وما ملكت أيمانكم .

عن أنس بن مالك قال كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه.

وربما غلبه الشوق لحضور الجماعة ورؤية الأصحاب فى أيامه الأخيرة، فتحامل على جسمه المنهوك وانسل إلى المسجد من حجرة عائشة فصلى بالناس وهو قاعد.

قال ابن عباس لما مرض النبى ﷺ أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ثم وجد خفه فخرج فلما أحس به أبو بكر أراد أن ينكص فأومأ إليه الرسول ﷺ فجلس إلى جنب أبى بكر عن يساره واستفتح من الآية التى انتهى إليها أبو بكر فكان أبو بكر يأتم بالنبى ﷺ ، والناس يأتمون بأبى بكر . على أن أبا

بكر ظل يصلى بالناس هذه الأوقات التى مرض فيها رسول الله ﷺ حتى صبيحة اليوم الذى قبض فيه، وكان الرسول معلق القلب بشئون أمته، وكأن الله أراد أن يطمئنه على كمال انقيادها، وحسن اتباعها فأشهده آخر وقت حضره وهو فى الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الإثنين الذى قبض فيه، واصطفوا لصلاتهم خشعاً مخبتين،وراء إمام رقيق التلاوة فياض الإخلاص ورفع النبى ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة، وفتح الباب وبرز للناس فكاد المسلمون يفتنون فى صلاتهم ابتهاجاً برؤيته وتفرجوا يفسحون له مكاناً،فأشار بيده أن اثبتوا على صلاتكم وتبسم فرحاً من هيئتهم فى صلاتهم،قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه فى تلك الساعة.

إلى المدينة المنورة ومسجدها المبارك

إلهى نجنا من كل كرب بهدى المصطفى خير الجميع،وهب لى فى مدينته قرارا ورزقاً ثم دفناً بالبقيع صلى عليك الله يا علم الهدى يا من تشتاق النفوس إلى رؤياه وتبتهج الأرواح بنور محياه .

يا زائر قبر الحبيب الهادى

أبلغ رسول الله شوق فؤادى

إنى بحبك يا رسول متيم

وزيارتى إياك كل مرادى

والآن حان لنا أن نتوجه إلى منار الهدى،ورسول الإنسانية إلى خاتم الأنبياء وشمس الهداية الربانية، فلنتحدث عن فضائل مدينته التى تشرفت بضم أعظمه الطاهرة فى ثراها الطيب، ثم نتوجه زائرين إلى روضته الشريفة.روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه،أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها)).

ومعنى يأرز ينضم ويتجمع، وإنما جاء التشبيه بالحية لأنها كائن معمر وهذا ينبئ عن أن المدينة ستكون الملجأ والملاذ للمخلصين العالمين من أمة خير المرسلين إذا احتدمت الخطوب وأدلهمت الفتن،وقد جاء هذا الجزء من الحديث ختاماً لقوله ﷺ .. ((بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ

فطوبى للغرباء)) وروى الطبرانى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام. ولقد بارك الله فى المدينة وكل ما يتصل بها حتى فى طعامها، وعن عمر رضى الله عنه قال : غلا السعر بالمدينة فاشتد الجهد فقال رسول الله ﷺ ((اصبروا وأبشروا فإنى قد باركت على صاعكم ومدكم وكلوا ولا تتفرقوا فإن طعام الواحد يكفى الإثنين وطعام الإثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الخمسة والستة وأن البركة فى الجماعة من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة، ومن خرج عنها رغبة عما فيها أبدل الله به من هو خير منه فيها ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء)).(رواه البزار بسند جيد) .

ننتقل بعد ذلك إلى فضل الموت بالمدينة، وتمتد بركات المدينة لتشمل الأموات الذين دفنوا فى ثراها،فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:((من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه من مات بها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة)) . رواه الطبرانى بإسناد حسن. وها نحن أولاء أمام عملاق الإسلام وفاروق هذه الأمة، الرجل الذى لم يستطع الغرور أن يقتحم

عليه أسوار نفسه المنيعة والرجل الذى أعلنها فى سمع الزمان صريحة مدوية. رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى .

ماذا قال الفاروق عن المدينة ((روى البخارى عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر قال : اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى حرم رسولك ﷺ وقد استجاب الله دعوة الفاروق فقد مات شهيدا وهو يصلى الفجر وحمل إلى بيته فلما أفاق من إغماءته سأل هل صلى المسلمون الفجر؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال : فمن الذى طعننى قالوا عبد مجوسى يسمى أبا لؤلؤة فخر ساجداً لله، وقال الحمد لله الذى جعل مصرعى على يد عبد كافر لم يسجد لله تعالى سجدة واحدة يحتج بها علىَّ أمام الله تعالى .ثم قال لابنه عبد الله يا عبد الله دع رأسى على الأرض حتى ينظر الله إلى فيرحمنى واذهب إلى أم المؤمنين عائشة، واستأذنها أن أدفن بجوار رسول الله ﷺ. قالت أم المؤمنين لعبد الله بن عمر لقد كنت أود أن أدفن مع أبى وزوجى أما وقد طلب أمير المؤمنين أن يدفن فى هذا المكان فإنى أوثر به أمير المؤمنين على نفسى فلما بلغَّ ذلك عبد الله لأبيه عمر قال له يا عبد الله إذا أنا مت فلا تدفنى حتى تستأذنها مرة أخرى فربما قد رضيت حياتى فى حياء منى ورجعت بعد وفاتى .

لله درك يا فاروق هذه الأمة، تستأذن مرتين فى أشبار من الأرض ليوارى جسدك الشريف بها.

وهيا بنا نزور المسجد الشريف والروضة الندية.

يا أيها الزوار قبر محمد إن كان منكم رائح أو غادى
يبلغ رسول الله خير تحية من عاشق متلهف للهادى

اعلم يا أخى أنه يستحب إتيان مسجد رسول الله ﷺ بالسكينة والوقار وأن يكون متطيباً بالطيب ومتجملا بحسن الثياب وأن يدخل بالرجل اليمنى ويقول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله اللهم صل على محمد وآله وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ويستحب أن يأتى الروضة الشريفة أولا فيصلى بها تحية المسجد فى أدب وخشوع فإذا فرغ من الصلاة أى تحية المسجد اتجه إلى القبر الشريف مستقبلا له

ومستديراً القبلة فيسلم على رسول الله ﷺ قائلا السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبى الله،السلام عليك يا خير خلق الله من خلقه. السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا رسول الله رب العالمين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة ونصحت الأمة، وجاهدت فى الله حق جهاده. ثم يتأخر نحو ذراع إلى الجهة اليمنى فيسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه،ثم يتأخر أيضاً نحو ذراع فيسلم على عمر الفاروق رضى الله عنه.

وعلى الزائر ألا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه،فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلين يرفعان

أصواتهما فى المسجد النبوى، فقال: لو أعلم أنكما من البلد لأوجعتكما ضربا وعلى الزائر أن يتجنب التمسح بالحجرة أى القبر والتقبيل لها فإن ذلك مما نهى عنه الرسول ﷺ.

روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا علىَّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم)).

كما يستحب للمسلم أن يأتى مسجد قباء وأن يصلى فيه، قال ﷺ:((من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة)) .

كما يستحب شد الرحال إلى المساجد الثلاثة. عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى.وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول قال: ((المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال: أربعون سنة ثم أين أدركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه)) وإنما شرع السفر إلى هذه المساجد الثلاثة لما فيها من فضائل ومميزات ليست فى غيرها، فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا

المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه)).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : ((من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرىء من النفاق)).رواه أحمد و الطبرانى بسند صحيح.

فيا أخا الإسلام اعلم بأن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة وأن النفس طماعة فعودها القناعة .

جدد السفينة فإن البحر عميق، وأكثر الزاد فإن السفر طويل، وأخلص العمل فإن الناقد بصير، وخفف الحمل فإن العقبة كئود.

إلى رضوان الله
يا خير البشر

قال جبريل لرسول الله ﷺ وهو على فراش الموت، وذلك بعدما سلم على رسول الله وأقرأه السلام من ربه. قال له كيف تجدك؟

وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال : أجدنى وجعا. فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل إن ملك الموت استأذن على

وأخبرنى الخبر، فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً ألا إن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق، قال فلا تبرح إذن حتى يجيء وإذن للنساء فقال يا فاطمة أدنى فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجباً فسألتها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فبكيت، ثم قال إنى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنيت ابنى الحسن والحسين فشمهما .

قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد؟ قال ألحقنى بربى الآن فقال: بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك، ولم ينهن عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك، ولكن ساعتك أمامك، وخرج قالت: وجاء جبريل فقال: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك وما لى فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفى، لا والذى بعث محمداً بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا

وإشفاقنا قالت فقمت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه على صدرى وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب

وجبهته ترشح رشحاً، ما رأيته من إنسان قط فجعلت أمسح ذلك العرق وما وجدت رائحة مسك أطيب منه.

الرفيق الأعلى

ومات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد من أصحابه وإنما صبرهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل، وجعل إذا أغمى عليه قال: بل الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً، الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الإثنين .

موقف الصحابة

وقالت عائشة رضى الله عنها : لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه فاختلفوا، فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد مدة طويلة، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقى آخرون معهم عقولهم، وأقعد آخرون، فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله ﷺ لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدى وأرجل رجال من

المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم وفى رواية أنه قال: يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت، والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفى هذا، وأما على فإنه أقعد فلم يبرح البيت، وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين فى حال أبى بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال :

والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقد قال وهو بين أظهركم **(إنك ميت وإنهم ميتون. ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)** (الآية ٣٠،٣١ سورة الزمر).

أبو بكر يعلن النبأ

وبلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، قال الله تعالى **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على**

أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) (الآية ١٤٤ سورة آل عمران)

فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلى على النبى ﷺ وعيناه تهملان وغصته ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكى ويقول : بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى، طبت حياً وميتاً، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء العيون، فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار مخالفان لا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا. أذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك. فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة. اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا.

غسله فى قميصه

قال على كرم الله وجهه أردنا خلع قميص رسول الله ﷺ فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابه، فأقررناه فغسلناه فى قميصه كما نغسل موتانا مستلقياً ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه، وإن معنا لحفيفاً

فى البيـــت كـــالريح الرخـــاء ويصوت بنا ارفقوا برســـــول اللهﷺ فإنكم ستكفون.

فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ نسأل الله أن يجزى عنـــــا رسول اللهﷺ خير ما جزى نبياً عن أمته ورسولا عن قومه.

فاللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعـــده. وصلـــى الله علـــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

مع القرآن
على مأدبة الرحمن

صلى الله عليك يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم.لقد جئتنا بكتاب كالشمس وضحاها وسنة كالقمر إذا تلاها، فمن اتبع الهدى عاش فى ضوء النهار إذا جلاها، ومن أعرض عن الذكر تخبط فى ظلمة الليل إذا يغشاها. نعم قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. عندما يلجأ المسلم إلى الله ويركن إلى جنابه ينشرح صدره ويشعر قلبه بالطمأنينة ويستقر فؤاده بالسكينة.

وهل يجد البشر فى أرجاء هذه الدنيا مناراً يستضيئون به أو ملجأ يأوون إليه إذا لفحتهم حرور الحياة أفضل وأعز من كتاب الله؟

أننى أقف مرفوع الرأس عزيز الجانب عندما أقرأ هذا الحديث الشريف الذى دار بين معاذ بن جبل وبين نبى الرحمة وإمام الهدى محمد ﷺ إذ يقول معاذ: يا رسول الله عظنا موعظة ننتفع بها . فبأى شىء وعظه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؟

كانت الموعظة تحديداً للمفاهيم وتبياناً للحقائق بأسلوب فيه الإعجاز والبلاغة كلها.

قال الرسول ﷺ في موعظته: إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والهدى يوم الضلالة، والظل يوم الحرور، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن حرز من الشيطان ورجحان في الميزان.

صدقت يا سيدى يا رسول الله !

فالقرآن هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة والمنهج المستقيم وهو الضياء والدواء والشفاء وهو مفتاح السعادة في الدنيا و الآخرة .

أقوال الأئمة فيه :

وقد ذكر الإمام الطبرى أن القرآن الكريم من أعظم ما خص الله به أمة نبينا محمد ﷺ من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة وحباهم به من الكرامة السنية التى لو اجتمع جمع من جنها وإنسها وصغيرها وكبيرها على أن يأتوا بسورة من مثله لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فجعله لهم في دجى الظلم نوراً ساطعاً وفي ظلمة الشبه شهاباً لامعاً، وفي مضلة المسلك دليلا، وإلى سبل النجاة والحق هادياً **(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)**(الآية ١٦سورة المائدة) .

حرسه بعين منه لا تنام وأحاطه بركن منه لا يضام، لا تنتهى على الأيام دعائمه ولا تبيد على طول الأزمان

معالمه،ولا يجوز عن قصد الحجة تابعة ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه. من اتبعه فاز وهدى، ومن حاد عنه ضل وغوى .

فهو موئلهم الذى إليه عند الاختلاف يئلون، ومعقلهم الذى إليه فى النوازل يعقلون وحصنهم الذى به من وساوس الشيطان يتحصنون،وحكمة ربهم التى إليها يحتكمون وفصل قضائه بينهم الذى إليه ينتهون. وعن الرضا به يصدرون وحبله الذى بالتمسك به من الهلكة معتصمون ويقول الإمام الزركشى فى مقدمة كتابه البرهان كلاماً كالدر النظيم رأينا أن نسجله هنا لما له من روعة وجلال. يقول رحمه الله:

((أما بعد: فإن أولى ما أعملت فيه القرائح وعقلت به الأفكار واللواقح الفحص عن أسرار التنزيل والكشف عن حقائق التأويل والنعمة الباقية والحجة البالغة و الدلالة الرافعة وهو شفاء الصدور والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل وهو الفصل الذى ليس بالهزل سراج لا يخبو ضياؤه وشهاب لا يخمد نوره وسماؤه وبحر لا يدرك غوره بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتضافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتقارن فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه وقسم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع ويقرظ المسامع من تجنيس أنيس وتطبيق لبيق وتشبيه نبيه وتقسيم وسيم وتفصيل أصيل وتبليغ بليغ وتصدير بالحسن جدير، وترديد ما له مزيد، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة والصناعة الرفيعة فالآذان بأقراطه حالية

والأذهان من أسماطه غير خالية فهو من تناسب ألفاظه وتناسق أغراضه قلادة ذات اتساق ومن تبسم زهرة وتنسم نشره حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأذواق كل كلمة منه لها من نفسها طرب ومن ذاتها عجب ومن طلعتها عزة ومن بهجتها درة لاحت عليها بهجة القدرة ونزل ممن له الأمر فله على كل كلام سلطان وأمره بهر النفوس بتمكن فواصله وحسن ارتباط أواخره وأوائله وبديع إشاراته وعجيب انتقالاته من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة وأمثال سائرة وحكم زاهرة وأوله على التوحيد ظاهرة بالتنزيه و التحميد سائرة ومواقع تعجب واعتبار ومواطن تنزيه واستغفار. إن كان سياق الكلام توجيها بسط وإن كان تخويفاً قبض وإن كان وعداً أبهج وإن كان وعيداً أزعج وإن كان دعوة حدب، وإن كان زجرة أرعد وإن كان موعظة أقلق وإن كان ترغيباً شوق هذا، وكم فيه من مزايا وفى زواياه من خبايا ويطمع الحبر فى التقاضى فيكشف الجد عن قضايا، فسبحان من سلكه ينابيع فى القلوب وصرفه بأبدع معنى وأعذب أسلوب، لا تستقصى معانيه فهم الخلق ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق فالسعيد من صرف همته إليه ووقف

فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره واصطفاه للتذكر به وتذكره.

أرجع البصر يا أخى فى هذه الدرر الغوالى تجدها لؤلؤا منثورا لأنها دارت فى فلك رفيع كان مركز الدائرة فيه أشوف

كتاب وأصدق كلام **((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين))** (الآية ٨٢ سورة الإسراء).

((يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)). (الآية ٥٧،٥٨سورة يونس). **((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء))** (الآية ٤٤ سورة فصلت)،**((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين))** (الآية ٨٩ سورة النحل).

أقوال المستشرقين فيه :

قال جاستون كارمن من مستشرقى فرنسا المشهورين فى سلسلة مقالات نشرها فى جريدة فيجارو عام ١٩١٣.

(إن القرآن وهو منبع هذا الدين العقلى ودستوره قد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم، ففى إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التى نشرها الإسلام).

ويقول المؤرخ الإنجليزى إدوارد كيبون:

(إن موحداً ذا رأس فلسفى لا يتردد لحظة فى قبول وجهات نظر الإسلام، فالإسلام دين أعلى من تطورنا الفكرى اليوم) إن هذا القرآن العظيم من حقه علينا أن نفقه آياته ونتدبر معانيه .

يقول تقى الدين الحسن البصرى رضى الله عنه: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم عباده فيما أنزلت وماذا أعنى بها

.. وما استثنى من ذلك لا متشابها ولا غيره ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يحرصون على تفهم كتاب الله تعالى وتطلب تفسيره،ولذلك يقول ابن مسعود رضى الله عنه ((كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)) لذلك أفلحوا ونجحوا وكتبت لهم السعادة فى الدنيا والآخرة كان الواحد منهم إذا دخل بيته بادرته زوجته بهذين السؤالين: كم نزل اليوم من القرآن، وكم حفظت من حديث رسول الله ﷺ. هذان السؤالان توجههما الزوجة لزوجها عندما يعود آخر نهاره. أما عند خروجه من بيته فكانت توصيه وتقول له: اتق الله ولا تكسب حراماً فإننا نصبر على الجوع فى الدنيا ولا نستطيع أن نصبر على عذاب جهنم يوم القيامة.

إن هؤلاء النفر الذين تخرجوا فى أعظم مدرسة تتلمذوا فيها على يدى الكتاب والسنة. كنت تسمع القرآن منهم وله دوى كدوى النحل حفظوه فى صدورهم وعملوا به فى حياتهم وفتحوا به الدنيا فدانت لهم . فلما أهملنا نحن هذا النهج تفرقت كلمتنا وأصبحنا مطمع الحاقدين وهانت علينا أنفسنا فهنا على الناس.

أخى فى الإسلام :

أقبل على القرآن وتفهم معانيه فليس هناك شك فى أن عدم الوقوف على تفسير القرآن الكريم يجعل الإنسان جاهلا

بمقاصد هذا الكتاب الإلهى المجيد. ومن هنا قال سعيد بن جبير رحمه الله.

((من قرأ القرآن ولم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابى (يقصد البدوى الجاهل الذى لم يتعلم).

ولذلك جاء فى تفسير الطبرى قوله:

حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى آى القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ ((**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**)) (الآية ٢٩ سورة ص).

وقوله ((ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون)) (الآية٢٧،٢٨ سورة الزمر).

وما أشبه ذلك من آى القرآن التى أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آى القرآن والاتعاظ بمواعظه ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به .

ويقول العلامة ابن كثير فى مقدمة تفسيره :

فالواجب على العلماء الكشف عن معانى كلام الله وتفسير ذلك وطلبه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى :

((وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون)) (الآية ١٨٧ سورة آل عمران).

وقال تعالى ((إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ،ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) (الآية ٧٧ سورة آل عمران).

لقد ذم الله أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن الكتاب المنزل عليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله .

فعلينا نحن المسلمين أن ننتهى عما ذمهم الله تعالى به وأن نأتمر بما أمرنا من تعلم كتابه المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه .

مسيرة مباركة مع القرآن

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة،والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق:له أجران) (التتعتع هو التردد فى الكلام عياً وصعوبة).

وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأن القرآن كان متعتعاً عليه ثم ترقى عن ذلك إلى شبه الملائكة .

وهكذا تستمر المسيرة النبوية المباركة فى زحفها المقدس تذكر لنا فضل القرآن وقارئه... فهذا أبو هريرة رضى الله عنه يروى أن رسول الله ﷺ قال: ((من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)).

وحسب أهل القرآن شرفاً وقدساً، أن القرآن يقف من صاحبه يوم القيامة أكرم المواقف، يسأل الله تعالى أن يمنح صاحبه الفضل العظيم.

قال ﷺ ((يجيء صاحب القرآن فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقول: له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة)).

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: ((يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها)).

هنيئاً لك يا من أعطيت هذا الشفاء وهذا الدواء والغذاء والهدى والرحمة والموعظة والبشرى. هنيئاً لك إذا عملت بما علمت إنك من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، وما على وجه الأرض أحد خير منك.

يقول ﷺ ((من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة ومن أعطى ثلثى القرآن فقد أعطى ثلثى النبوة، ومن أعطى القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها، غير أنه لا يوحى إليه ويقال له يوم القيامة اقرأ وارق فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القرآن ثم يقال له اقبض فيقبض ثم يقال له أتدرى ما فى يديك؟ فإذا فى يديه اليمنى الخلد وفى اليسر النعيم)).

صلى عليك الله يا علم الهدى يا من قال لك ربك ((**وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**)) (الآية ٧٩ سورة الإسراء).

ويا من قال لك ربك((**قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا**)) (الآية ٢ سورة المزمل).

فوالله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد، ولو عملنا بما فيه لرفرفت راية الإسلام على كل بلد، ولو علمنا فضله ما غفلنا ! يقول صلوات ربى وسلامه عليه ((من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كل قد وجبت له النار)).

وقالت أم الدرداء: ((دخلت على عائشة رضى الله عنها : فقلت لها ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ ممن دخل الجنة؟فقالت عائشة رضى الله عنها : إن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن)) وقال ابن عباس رضى الله عنه ((من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب)) وذلك لأن الله تعالى يقول ((**فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى**)) (الآية ١٢٣ سورة طه).

قال ابن عباس فضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة.

إن فضل القرآن كما يشمل القارئ يشمل المستمع الذى عرف للاستماع حقه وأدبه، قال الليث رضى الله عنه ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن.

ويقول الله جل ذكره **((وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون))** (الآية ٢٠٤ سورة الأعراف).

ومن فضل قراءة القرآن يقول ﷺ ((من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)).

وينبغى لصاحب القرآن أن يطلبه بإخلاص لله تعالى وأن يداوم على قراءته خشية أن ينساه. فقد قال ﷺ مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت)).

وينبغى له أن يكون لله حامداً ولنعمه شاكراً وله ذاكراً وعليه متوكلا وبه مستعيناً. وإليه راغباً وبه معتصماً وللموت ذاكرا وله مستعداً.

وينبغى أن يكون خائفاً من ذنبه راجياً عفو ربه ويكون الخوف فى حال صحته أغلب عليه إذ لا يعلم بما يختم له. ويكون الرجاء عند حلول أجله أقوى فى نفسه لحسن الظن بالله.

وينبغى لصاحب القرآن أن يكون أهم أموره لديه، السورع فى دينه واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

وقال ابن مسعود ((ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مستيقظون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه إذ الناس يختالون وبحزنه إذ الناس يفرحون)).

وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ((لا ينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح لأن فى جوفه كلام الله)).

وينبغى له أن يأخذ نفسه بالتباعد عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام فى مجالس القرآن وغيرها، مما لا فائدة فيه ويأخذ نفسه بالحلم والوقار، وينبغى له أن يتواضع للفقراء ويتجنب الكبر والإعجاب ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء ويأخذ نفسه بالرفق والأدب.

وينبغى له أن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره، ويسلم من ضرره وألا يسمع ممن نم عنده ويصاحب من يعاونه على الخير، ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويزينه ولا يشينه.

وينبغى له أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو.

فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب، وهو لا يفهم ما يتلو فكيف يعمل بما لا يفهم معناه.

وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلو ولا يدريه وقال الضحاك فى قوله تعالى **((ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب))** (الآية ٧٩ سورة آل عمران).

قال: حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها فطوبى لك ثم طوبى يا حامل القرآن وعاملا به.

إن رسول الله ﷺ قد جعلك فى مرتبة رفيعة وخلع عليك أوسمة بديعة فقال: **((من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام** وذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه.وقال أبو عمر فى حملة القرآن: هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه.

فى ذكر مولد الهدى

محبة رسول الله ﷺ

من قواعد الإيمان الأساسية أن تحب رسول الله ﷺ حباً بينه نبى الله فى قوله الكريم ((لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)).

ورسول الله ﷺ جدير بهذا الحب. أليس هو النبى الذى رفع الله ذكره وأعلى قدره، وقرن اسمه بإسمه إذ يقول ((والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين)) (الآية ٦٢ سورة التوبة).

أليس هو الذى حذر الله من مخالفة أمره إذ يقول ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)) (الآية ٦٣ سورة النور).

أليس هو الذى قرن الله طاعته بطاعته فقال((من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً)) (الآية ٨٠ النساء).

أليس هو الذى سيندم العصاة على مخالفته ((يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)(الآية ٦٦ سورة الأحزاب).

أليس هو الذى قرن الله محبته باتباع هديه والسير وراءه فقال ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم* قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)) (الآية ٣١-٣٢ سورة آل عمران).

أليس هو الذى أمر الله المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، وهو الذى يصلى عليه وملائكته ؟

((إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما))(الآية ٥٦ سورة الأحزاب).

صلى عليك الله يا علم الهدى،ما هبت النسائم،وما ناحت على الأيك الحمائم.

كل القلوب إلى الحبيب تميل

ومعى بهذا شاهد ودليل

أما الدليل إذا ذكرت محمداً

صارت دموع العارفين تسيل

هذا رسول الله هذا المصطفى

هذا لرب العالمين رسول

يا سيد الكونين يا علم الهدى

هذا المتيم فى حماك نزيل

ماذا أقول عنك يا رسول الله وقد أخذ الله من النبيين ميثاقهم فى مشهد ربانى رائع فقال ((وإذ أخذ الله ميثاق النبيين

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى؟ قالوا أقررنا، قال فاشهدوا، وأنا معكم من الشاهدين))(الآية ٨١ سورة آل عمران).

هذا النبى الهاشمى محمد

هذا لكل العالمين رسول

هذا الذى رد العيون بكفه

لما بدت فوق الخدود تسيل

هذا الذى شرف الوجود بهديه

منهاجه للسالكين سبيل

هذه الغمامة ظللته إذا مشى

كانت تقيه إذا الحبيب يقيل

صلى عليك الله يا علم الهدى

ما لاح برق فى السماء دليل

إن مثلى ومثلك يا رسول الله كمثل أعرابى ضل الطريق فى الصحراء فلما طلع عليه القمر اهتدى بنوره فقال ماذا أقول لك أيها القمر أأقول رفعك الله؟ لقد رفعك، أأقول نورك الله؟ لقد نورك، أأقول جملك الله؟ لقد جملك، وأنا ماذا أقول لك يا رسول الله؟

أأقول رفعك الله ؟ لقد رفعك (ورفعنا لك ذكرك) .

أأقول جملك الله؟لقد جملك((يا أيها النبـــى إنـــا أرســـلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا .وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منـيرا))(الآية ٤٥،٤٦ الأحزاب).

أأقول نورك الله؟ لقد نورك ((قد جاءكم من الله نور وكتـاب مبين)):

يا سيدى يا رسول الله معذرة

إذ كبا فيك تبيانى وتعبيرى

ماذا أوفيك من حق وتكرمة

وأنت تعلو على ظنى وتقديرى

أقبلت كالفجر وضاح الأسارير

تدعو إلى الله فى يسر وتبشير

على جبينك نور الحق منبلجاً

وفى يديك لواء العدل والنور

لقد أحبتك القلوب المؤمنة وعرفت لك قدرك وأجلت فيـــك إخلاصك وصفاءك ونقاء سريرتك.

وهل ننسى يوم نزلت السوق فسمعت عبداً ينـــادى وســـيده يعرضه للبيع والعبد يقول: من أراد شرائى فلا يمنعنـــى مـــن الصلاة وراء رسول الله ﷺ، فاشتراه أحد الناس، وظل العبـــد يواظب على الصلاة وراءك لا تفوته تكبـــيرة الإحـــرام فـــى

فريضة، ولما بلغك أنه مريض ذهبت بنفسك لتعـــوده ولمـــا توفى صليت عليه لتكون صلاتك شفاعة له فى الآخرة؟

أنت الذى أقمت ميزان العدالة ورفعت لواء الحـــق عندمـــا قرأت على الوجود قـــول الله تعـــالى ((إن أكرمكـــم عنـــد الله أتقاكم))(الآية ١٣ سورة الحجرات). نعم لا ننسى يوم دخلـــت على ثوبان ذلك الغلام المتواضع الفقير فرأيته يبكى فسألته مـــا يبكيك يا ثوبان؟ قال يا رسول الله إنك إذا غبت عنـــى اشـــتقت إليك فتبكى عيناى فإذا تذكرت الآخرة وأننى لن أكون معك فـى الجنة حيث أنت فى أعلى درجاتها ازداد بكائى عندئـــذ هبـــط الأمين جبريل بقـــول الله تبـــارك وتعـــالى ((ومـــن يطـــع الله والرسول فأولئك مع الذيـــن أنعـــم الله عليـــهم مـــن النبييـــن والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقـــا. ذلـــك الفضل من الله وكفى بالله عليما))(الآية ٦٩ سورة النساء).

وهذا المشهد تمتلئ له النفس روعة وجلال لصدق الحـــب الذى امتلأت به قلوب أصحاب الرسول صلوات الله وســـلامه عليه.

روى الإمام مسلم عن ربيعة بن مالك الأسلمى قال: قال لى الرسول ﷺ ((سل، فقلت:أسألك مرافقتك فى الجنـــة قـــال أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك قال: فأعنى على نفسك بكثرة السجود.

أسأل الله أن يجعلنا يوم القيامة تحت لوائك، وأن يسقينا مـــن كفك الشريف شربة ماء لا نظمأ بعدها أبداً.

الترغيب فى تلاوة القرآن

حسبك أيها المسلم فى هذا المقام قول رسول الله ﷺ فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

اقرأ يا أخى هذا الحديث متدبرا معناه هل يستطيع أحد أن يدرك حقيقة فضل الله وهو صاحب العظمة المطلقة والكمال المطلق وصاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة. كمالاته لا تتناهى لا يحصرها عد ولا يحيط بها حد فقارن بين فضل القرآن العظيم وبين غيره من الكلام لترى هذا الفضل قد بلغ من علو الرفعة مبلغا لا يسامى أنه كفضل الله تعالى على خلقه وإذا كانت الأمة الإسلامية فى هذه الأزمنة تعانى من الشدائد والأهوال ما يحرك العوالم ويسير الجبال وإذا كانت الفتن التى تموج موج البحر عرضت على القلوب كما تعرض الحصير عودا عودا، فما المخرج من هذه الفتن وتلك الظلمات؟

يقول على كرم الله وجهه ((سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى،فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله حبل الله المتين ونوره المنين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم،وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة

ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا،من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

نعم يا سيدى يا رسول الله يا من قلت إجابة عن سؤال وجهه إليك على بن أبى طالب عندما سألك ما سنتك يا رسول الله؟ فقلت له: المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى، والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والفقر فخرى والزهد حرفتى، واليقين قوتى والطاعة حسبى والجهاد خلقى والصدق شفيعى وقرة عينى فى الصلاة.

صدقت يا سيدى يا رسول الله أن المسلمين لن يجدوا موئلا يلجأون إليه ليعصمهم من الفتن الهوج التى عصفت ريحها ببروقها ورعودها ورمالها إلا أن تلجأوا إلى كتاب الله فهو موحد القلوب على العقيدة والباحث فيها روح الأخوة خشعت له قلوب الجن عندما سمعوه من فم رسول الله ﷺ ((فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)) (الآية ١-٢ سورة الجن) .

بل لقد بلغ من إكرام الجن لهذا الكتاب العزيز عندما سمعوه أنهم قالوا أنصتوا فلما قضى الكتاب ولوا إلى قومهم منذرين. ((قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى

مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم. يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم))(الآية ٣٠،٣١سورة الأحقاف).

فياليت الإنس من المسلمين إذا حضروا القرآن أنصتوا وتأدبوا كما أنصت الجن إنك لتجد اللغو وتعاطى المشروبات ولعب الشطرنج و الورق والنرد وغير ذلك من ألوان العبث، تراه أثناء تلاوة القرآن الكريم وما أضر المسلمين وأنزل بهم ما نزل إلا بعدهم عن هذا القرآن الذى من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم،إنه المأدبة الكريمة لمن أراد أن يتعلم فهو أستاذ المعلمين ومرشد العباقرة الموجهين، وعميد جامعة الإسلام العظمى التى تخرج منها أساتذة الأخلاق وأساطير الفكر.

روى ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله أنه قال إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن الكريم هو حبل الله المتين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن رد. فاتلوه فإن الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنى لا أقول ((ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)) ثم اسمع إلى ترغيب الرسول فى قراءة سورة البقرة إذ يقول ((لا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفر من

البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة وأن أصغر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله)).

وفى رواية ((إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن)).

(المأدبة بضم الدال وفتحها معناها بالضم أنه الصنع الذى صنعه الله ودعا الناس إليه أما بالفتح فإنه يراد به الأدب ولذا قيل فتعلموا من مأدبته).

فيا معشر المسلمين أقبلوا على هذه المأدبة واملئوا القلوب من خيراتها وأضيئوا بيوتكم بنورها فإن الشيطان يرتعد ويهتز خوفاً وفزعاً من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة فطاردوه بها وأن البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يكون صفرا ومقفرا وخاليا من البركة وما أكثر الشياطين بشتى أنواعها من إنس وجن ما أكثرها فى البيوت فسلطوا عليه مدفعية القرآن الثقيلة بعيدة المدى، فتصير هباء منثورا.

تعلموا القرآن وعلموه للناس فقد أخبر رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف عن فضل هذا فقال ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

وقال ﷺ ((مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها و طعمها مر)).

واعلم يا أخى أن المقصود فى هذا الحديث الشريف أن تكون قراءة مقرونة بالعمل ولقد خرج الإمام البخارى بهذا فروى هذا الحديث بالرواية الآتية:

((مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة ... وذكر الحديث)).

سيدى أبا القاسم يا رسول الله :

الحق أنت وأنت إشراق الهدى

ولك الكتاب الخالد الصفحات

من يقصد الدنيا بغيرك يلقها

تيها من الأهوال والظلمات

لو شرق القوم الكبار وغربوا

فإليك حتما منتهى الخطوات

ضلت علومهم برغم نبوغهم

وتعرضوا لمهالك خطرات

وتنكبوا معنى السلام وأقبلوا

يتشدقون بأتفه الكلمات

لو أدركوا معنى السلام لأسلموا

ما غير دينك سلم لنجاة

والحقيقة التى يجب أن تكون واضحة الرؤية، أن من يقرأ القرآن ولا يعمل بما فيه يكون موقفه أمام الله أدهى وأمر من غيره خصوصاً إذا أمر ونهى دون أن يأتمر وينتهى

وصدق القائل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً

إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

تعيب دنيا وناساً عاملين لها

وأنت أكثر منهم رغبة فيهـــا

وإذا كان الرسول ﷺ قد شبه المؤمن القارئ العامل بالقرآن كالأترجة وهى السفرجلة أو التفاحة، فذلك لطيب ريحها وحلو طعمها وقد روى هشيم عن العوام بن حوشب أن أبا عبد الرحمن السلمى رضى عنه كان إذا ختم عليه أحد القرآن الكريم أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له يا هذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بالذى علمت.

يرحمك الله يا أبا عبد الرحمن، فما أغلى تلك الوصية التى كنت توصى بها من ختم القرآن فإن شر البلاء ترك العمل .

أجل يا أبا عبد الرحمن يا أيها القائل لخاتم القرآن، يا هذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بالذى علمت، فقد

روى أن من أتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وأطراف النهار، وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة الكرام.

قال سعد: السفرة هم الملائكة .

فضل تعلم القرآن والواجب على قارئه وحافظه

إن تعلم القرآن نعمة من أعظم النعم التى امتن الله بها على عباده فمن أراد مؤنسا فالله يكفيه،ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه، ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه، ومن لم يكفه شيء من هذا فإن النار تكفيه، لقد قرن الله تعالى تعليم القرآن باسمه العظيم وجعل ذلك مظهرا من مظاهر رحمته، وقدم تلك النعمة الجليلة على خلق الإنسان وذلك لشرف القرآن وعلوه قدره، إذ هو القائد الموجه والمرشد الصدوق، والإنسان هو المقود، والتابع ومن حق القائد أن يتقدم المقود.

يقول سبحانه ((الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان))(سورة الرحمن).

فنعم الذى علم ونعم القرآن– ونعم من تعلمه!

فأى نعمة تدانى هذه النعمة؟ إننى عندما أتحدث عن جلال القرآن وجماله أشعر كأنى أقف على شاطئ بحر لا ساحل له،

وما أنا إلا كشعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة، إذا قيس بالشمس فى ضحاها وكيف لا وهذا كتاب يحدثنا عنه مولانا تبارك اسمه فيقول:

((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله))(الآية ٢١ سورة الحشر).

ويقول فيه ((الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد))(الآية ٢٣ سورة الزمر).

ويقول جل شأنه ((إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون))(الآية ٢ سورة الأنفال).

فأى نعمة أجل من آيات الله، إذا تلاها المؤمن زادته إيماناً، ومن منا يستغنى عن زيادة الإيمان إنها مؤشر كريم لأصحابه.

يقول الإمام القرطبى رحمه الله بعد أن حمد الله وأثنى عليه،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد الحى القيوم، الذى لا يموت، ذو الجلال والإكرام والمواهب العظام، والمتكلم بالقرآن والخالق للإنسان والمنعم عليه بالإيمان، والمرسل رسوله بالبيان، محمد ما اختلف اللدان وتعاقب الجديدان.

أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين، الذى أعجز الفصحاء معارضته، وأعيت الأدباء مناقضته وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا جعل الله أمثاله بشرى لمن تدبرها وأوامره هدى لم استبصرها وشرح فيه واجبات الأحكام وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للإفهام، وضرب فيه الأمثال وقص فيه غيب الأخبار فقال تعالى ((ما فرطنا فى الكتاب من شىء)).

خاطب به أولياءه ففهموا، ومن فهم مراده تعلموا فقراء القرآن حملة سر الله المكنون وحفظة علمه المخزون، خلفاء أنبيائه وأمناؤه وهم أهله وخاصته وجيرته وأصفياؤه.قال رسول الله ﷺ ((إن لله أهلين منا قالوا يا رسول الله من هم؟ قال : هم أهل القرآن أهل الله وخاصته)).

فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه ويذكر ما شرح له فيه ويخشى الله ويتقيه ويراقبه ويستحييه فإنه قد حمل أعباء الرسل وصار شهيداً فى القيامة على من خالف من أهل الملل.

قال الله تعالى ((وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس))(الآية ١٤٣ سورة البقرة) إلا وأن الحجة على من علمه فأغفله. ومن أوتى علم القرآن فلم ينتفع وزجرته نواهيه. فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحاً ومن الجرائم فضوحاً: كان القرآن عليه حجة وخصما لربه.

قال رسول الله ﷺ ((القرآن حجة لك أو عليك)) فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقائق عبارته،ويتفهم عجائبه ويتبين غرائبه، قال تعالى ((كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته))(الآية ٢٩ سورة ص) وقال عز وجل ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها))(الآية ٢٤ سورة محمد).

قال إدوار جيبوته ((من مشاهير مؤرخى الإنجليز أن موحداً ذا دماغ مفكر لن يتردد فى الاعتراف بوجهات نظر الإسلام فقد يكون الإسلام دينا أعلى من تطورنا الفكرى اليوم)).

وقال المستشرق كارلايل وهو من أساتذة جامعة كمبردج ((إن علوية القرآن فى حقيقته العالية فهو حافل بالعدل والإخلاص والدعوة التى بلغها محمد إلى العالم حق وحقيقة.

وقال ستنفاس مؤلف قاموس عربى إنجليزى.

القرآن واحد من أهم الكتب التى انتقلت إلى الناس ليستفيدوا منها فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة للناس بالتوفيق والهداية فى حياتهم .

ويقول ديور مؤلف كتاب روح الشرق.

((الإسلام يقدم براءة النجاة للتابعين وسجل أخلاق للمتبوعين)) ومن محاضرة عن الإسلام ألقاها مانويل كنج سنة ١٩١٥ فى كنيسة البرستمان وهو من أفاضل علماء الإنجليز

قال ((إذا كان فى عالم الإلهام أمر يدعى وحيا وكان للوحى وجود كامل فلن يشك فى أن القرآن كتاب منزل)).

وقال المستشرق سيديو فى كتابه تاريخ بلاد العرب ((القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفلسفة ... فالفضيلة والرذيلة والخير والشر وماهية الأشياء الحقيقية كلها مبينة فى القرآن ... فقد أوحيت آياته إلى محمد بحسب احتياجات الزمان وحوادث العهد)).

ومن كتاب حياة محمد ﷺ للفيلسوف الفرنسى ((الكس لوازون)).

((خلف محمد للعالم كتاباً هو آية البلاغة وسجل الأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية التى كشفت حديثاً أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالإنسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعى للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية)).

وقال الكاتب الأمريكى ((واشنطن إيروفينج)):

((يحوى القرآن أسمى الآراء وأنفعها وأكثرها إخلاصاً)).

وعن المستشرق والفيلسوف الألمانى يوجان يعقوب رايس ((ما أن يتعلم بعض الناس قليلا من اللغة العربية حتى يقوموا بمحاولة الاستهزاء بالقرآن! ولو استمعوا إلى قدرة القرآن المثيرة الفصيحة والعظيمة المؤثرة وأحسوا باللسان المحير للألباب الذى استخدمه الرسول حين أفهم القرآن أصحابه

لوقعوا فى الحضرة الإلهية ساجدين صائحين يا رسول الله أغثنا ولا تحرمنا من شرف الدخول فى أمتك)).

أخى القارئ الكريم: إن أى مسلم لا يتعلم القرآن ولا يفهم معانيه قد فاته خير كثير يجب عليه أن يتداركه قبل فوات العمر لما فى ذلك من الفضل العظيم له فى دنياه وآخرته. فالقرآن فى الدنيا: هدى ورحمة وفى الآخرة شفيع وحجة وقد جاء فى الحديث القدسى الجليل ((أنه إذا كان يوم القيامة قال الله أين جيرانى؟ فتقول الملائكة ومن ذا الذى ينبغى أن يجاورك يارب العزة؟

فيقول جل فى علاه: أين قراء القرآن وعمار المساجد، وحسب من يقرأ القرآن فى أنه تجارة رابحة مع الله ((إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور))(الآية ٢٩، ٣٠ سورة فاطر).

ويوم يشغلك القرآن وذكر الله عن مسألته تبارك وتعالى، فسيعطيك الله أفضل ما يعطى السائلين.

قال ﷺ فيما رواه عن رب العزة جل فى علاه ((من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين)).

ولو علمت الخلائق ما فى القرآن من فضل ما غفلوا عن تعليمه وتلاوته والعمل به وحسبك أيها المسلم فى هذا المقام

قول رسول الله ﷺ ((فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)).

الحث على مدارسة القرآن

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)(الآية ٨٢ سورة الإسراء)

يقول الإمام الشاطبى فى شأن القرآن الكريم:

وخير جليس لا يمل حديثه

وترداده تزداد فيه تجملا

وحيث الفتى يرتاع فى ظلماته

من القبر يلقاه سناً متهدلا

يناشد فى إرضائه لحبيبه

وأجدر به سؤلا إليه موصلا

فيا أيها القارى به متمسكا

مجلا له فى كل حال مبجلا

هنيئاً مريئاً والداك عليهما

ملابس أنوار من التاج والحلى

لقد بلغ من ترغيب الرسول ﷺ فى الحرص على تلاوة القرآن ودراسته أنه قال ((ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)).

أخى القارىء الكريم: أرأيت مكاناً أجل وأعظم من هذه الروضة المباركة إنه مكان تتنزل فيه السكينة وما أدراك ما هى إنها مملكة من ممالك الله العليا يختص بها من يشاء من عباده إذا حلت بالقلوب أكسبتها طمأنينة واستقراراً ومن ثم فقد ورد ذكر السكينة فى كتاب الله تعالى فى مواقف حاسمة تكاد تنخلع منها القلوب لشدة ما فيها من الهول، فإذا السكينة تنزل على الأفئدة كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الظمأى.

ورد ذكر السكينة عندما كان الرسول ﷺ فى الغار مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه، والموقف شديد يفسره قول أبى بكر يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى موقع قدميه لرآنا فيقول السيد الجليل محمد ﷺ يا أبا بكر ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا)).

وعندئذ تنزل السكينة وهى النعمة العظمى فيقول سبحانه ((فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها))(الآية ٤٠ سورة التوبة).

وفى غزوة حنين وقد احتدم الخطب وأدلهم الأمر كما قال ربنا جل وعلا ((ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم

مدبرين))(الآية ٢٥ سورة التوبة) فماذا حدث؟ والشدة قد استحكمت حلقاتها فالكثرة العددية لم تغن شيئا والأرض بأرجائها الرحبة قد ضاقت والنبى ﷺ فى ثبات وعزيمة ينادى، أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

إنها السكينة قد نزلت كما قال مولانا تبارك اسمه ((ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين))(الآية ٢٦ سورة التوبة).

وجاءت السكينة فى سورة الفتح امتناناً من الله تعالى على عباده لتكون غايتها ازدياد إيمان المؤمنين، قال جل شأنه ((هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)).

وتأتى السكينة فى موضع آخر من سورة الفتح أيضاً فى بيعة الرضوان حين وقف الصحابة يبايعون رسول الله ﷺ على القتال صفاً واحداً إن كان أهل مكة قتلوا عثمان بن عفان سفير رسول الله ﷺ إليهم فتنزل السكينة تثبيتاً وتقوية وتوكيداً قال جل شأنه ((لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا))(الآية ١٨ سورة الفتح).

كما تجىء فى موضع ثالث من سورة الفتح وذلك أثناء توقيع المعاهدة بين المسلمين والمشركين فى صلح الحديبية، وحين ركب سهيل بن عمرو مندوب المشركين رأسه ويأبى

أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ويكتب باسمك اللهم كما يأبى أن يذكر فى المعاهدة اسم رسول الله ﷺ بعنوان الرسالة ويقول: بل أكتب محمد بن عبد الله ... إلى غير ذلك من التعنت والتعسف وعندئذ تثور ثورة المسلمين، لكن الله تعالى لحكمة يعلمها وخير كثير سوف يعود على المسلمين من تلك المعاهدة ينزل السكينة على المؤمنين تثبيتاً وتقوية ... يقول جل شأنه وصفاً لهذا الموقف ((إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما))(الآية ٢٦ سورة الفتح).

والمراد بكلمة التقوى هنا هى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، تلك مواقع السكينة فى جلالها وجمالها وكمالها.

إن تلك النعمة كما جاء فى الحديث الشريف الذى ذكر آنفاً، تنزل مع الرحمة والملائكة على الذين يجلسون يقرأون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم بل إنهم ينالون شرفاً كبيراً وقدراً رفيعاً إذ أن الله جل جلاله يذكرهم فيمن عنده من الملأ الأعلى.

فما أعظم هذا الشرف ((كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين. وما أدراك ما عليون. كتاب مرقوم. يشهده المقربون))(الآية ١٨-٢١ سورة المطففين).

وإذا علمت أن تلاوة القرآن وتدارسه لها من الشرف ما يجل عن الوصف فإن العلم به يزيد هذه المكانة قرباً وحباً إلى

الله قال مجاهد رحمه الله ((أحب الخلق إلى الله تعالى،أعلمهم بما أنزل)) والمراد بهؤلاء هم الذين يقرنون العلم بالعمل، لذلك قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعمل و العلم جميعاً ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة.

اعلم يا أخى وفقك الله أن لتفسير القرآن أهمية كبرى ليتسنى لك العمل بما فيه وإلا فكيف يعمل الإنسان بما لا يفهم معناه قال إياس بن معاوية رضى الله عنه، مثل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا، وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما فى الكتاب ومثل الذى يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما فى الكتاب ولو علمت ما للقرآن العظيم من مكانة فى السماء والأرض، ما كففت ساعة عن ترطيب لسانك بتلاوته)) ولكى أؤكد لك هذا المعنى فإننى أسوق إليك هذه التوجيهات النبوية المباركة فى حديث جامع وقف فيه أبو ذر موقف السائل المسترشد ووقف فيه المبعوث رحمة للعالمين موقف المجيب المرشد، عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها وإن كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً

على عقله أن يكون له ساعات فساعة يناجي فيها ربه،وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل،وساعة يخلو فيها لحاجاته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلا على شأنه حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه فيما يعنيه قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال:كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح!عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك!عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم يعمل قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء. قلت يا رسول الله زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قلت يا رسول الله زدني قال: أحب المساكين وجالسهم قلت يا رسول الله زدني قال أنظر إلى ما هو تحتك ولا تنظر إلى ما هو فوقك فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله. قلت يا رسول الله زدني قال: قل الحق وإن كان مراً قلت يا رسول الله زدني قال: ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك وتجد عليهم فيما تأتي. ثم ضرب بيده على

صدرى فقال يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كـــالكف ولا حسب كحسن الخلق)).

(رواه ابن حبان والحاكم).

فتأمل معى يا أخى هذا القول الكريم المعطر بأعراف الجنة كيف قال رسول الله ﷺ عن القرآن، عليـــك بتـــلاوة القـــرآن الكريم وذكر الله عز وجل، فإنه نور لك فى الأرض وذخر لـــك فى السماء)).

مكانة القرآن العظيم ومكانة أهله

روى أنس أن النبى ﷺ قال: ((القرآن أفضل من كل شـــىء فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن فقد اســـتخف بحق الله تعالى .. حملة القرآن هم المحفوفـــون برحمـــة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والـــى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله تعالى)).

إن هذا الكتاب كتاب الله وصفه الله بالعزة فقال ((وإنـــه لكتاب عزيز)).

ووصف الشهر الذى أنزل فيه، بأنه ما عظم إلا لهذا القرآن فقال ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن))(الآية ١٨٥ سورة البقرة).

وجعل الليلة التى نزل فيها خيراً من ألف شهر ((إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر))(سورة القدر).

وجعل مكانته فى أم الكتاب علوا وحكمة فقال ((إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم))(الآية ٣-٤سورة الزخرف).

وجمع له وصفين من أجل الصفات فى آية جعله روحا يحيى الموت ونوراً

يخرج من غياهب الظلمات فقال جل شأنه ((وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا))(الآية ٥٢ سورة الشورى).

فهل علمت يا حامل القرآن وقارئه ما حرمة هذا الكتاب؟وما يلزمك من أدب عند قراءته؟ إليك ما يلى:

قال الحكيم الترمزى أبو عبد الله فى نوادر الأصول فمن حرمة القرآن ألا يمسه القارىء إلا طاهراً، ومن حرمته أن يقرأه وهو على طهارة ومن حرمته أن يستاك ويتخلل فيطيب فمه إذ هو طريقه، قال يزيد بن أبى مالك إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم.

ومن حرمته أن يلبس نظيفاً كما يلبس للدخول على الأمير لأنه مناج ربه

ومن حرمته أن يستقبل القبلة لقراءته.

ومن حرمته أن يتمضمض كلما تنخع.

ومن حرمته إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة،لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج له والتثاؤب من الشيطان.

قال مجاهد إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فامسك عن القواءة تعظيما حتى يذهب تثاؤبك.

ومن حرمته أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتدائه للقراءة ويقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم إن كان إبتداء قراءته من أول السورة أوحيث بلغ.

ومن حرمته إذا أخذ فى القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة.

ومن حرمته أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذى استعاذ منه فى البدء.

ومن حرمته أن يقرأه على تؤدة و ترسيل وترتيل.

ومن حرمته أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه، حتى يعقل ما يخاطب به.

ومن حرمته أن يقف عند آية الوعيد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله وأن يقف على آية ((الوعد)) فيستجير بالله منه.

ومن حرمته أن يقف على أمثاله فيمثلها.

ومن حرمته أن يلتمس غرائبه.

ومن حرمته أن يؤدى لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماما فإن له بكل حرف عشر حسنات.

ومن حرمته إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ويشهد على ذلك أنه حق فيقول ((صدقت ربنا وبلغ رسولك ونحن على ذلك من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط)) ثم يدعو بما شاء من الدعاء ومن حرمته إذا قرأه ألا يلتقط الآى من كل سورة فيقرأ فإنه روى عن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئا فأمره أن يقرأ على السور أو كما قال.

ومن حرمته إذا وضع الصحيفة ألا يتركه منشورا وألا يضع فوقه شيئا من الكتب، ومن حرمته أن يضعه فى حكرة إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه سبالأرض، ومن حرمته ألا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء. ومن حرمته أن يعطى عينيه حظهما منه فإن العين تؤدى إلى النفس وبين النفس والصدر حجاب والقرآن فى الصدر فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنما يسمع أذنه فتؤدى إلى النفس فإذا نظر فى الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا فى الأداء، وذلك حرى

للأداء وكان قد أخذت العين حظها كالأذن روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ ((أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال:النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه)) وقال ﷺ :

((أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظراً)).

عبد الحميد كشك

الفهرس

مقدمة ٥
إلى رحاب الحق ٧
سكرات الموت ١٠
إلى المدينة المنورة ومسجدها المبارك ١٣
إلى رضوان الله يا خير البشر ١٨
الرفيق الأعلى ٢٠
موقف الصحابة ٢٠
أبو بكر يعلن النبأ ٢١
غسله فى قميصه ٢٢
مع القرآن على مأدبة الرحمن ٢٤
أقوال الأئمة فيه ٢٥
أقوال المستشرقين فيه ٢٨
مسيرة مباركة مع القرآن ٣٢
فى ذكرى مولد الهدى ٣٨
الترغيب فى تلاوة القرآن الكريم ٤٣
فضل تعلم القرآن والواجب على قارئه وحافظه ٤٩
الحث على مدارسة القرآن ٥٥
مكانة القرآن العظيم ومكانة أهله ٦١

رقـم الايـداع ٢٤١٨ / ١٩٨٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-136-019-1

ت ٤٤٤١٠٧٠ – ٤٤٤١٠٧٤ – فاكس ٤٤٤١٠٧٧